العدد 13 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية نيسان 2026
No. 13 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences April 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

المظاهر البديعية ذات المنحى الدلالي في شواهد زهر الربيع في شواهد البديع "المظهر السياقي أنموذجًا"

إيفاء حميد جمعة
أ.د. رميض مطر حمد
جامعة الأنبار/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التحقيق في دور الفنون البديعية في تشكيل دلالة النص الأدبي وتحقيق تماسكه السياقي من خلال تحليل وتطبيق هذه الفنون على شواهد شعرية ونثرية، فكان التطبيق على أشعار ابن قرقماس ونماذج من القرآن الكريم والحديث الشريف. تعتمد هذه الدراسة على التأصيل اللغوي والاصطلاحي لسبعة فنون بديعية رئيسة، مثل الطباق والاقتباس والتضمين والعقد والجمع والتفريق والتقسيم وحسن التخلص وحسن الختام. وتُركز هذه الفنون على خلق تقابلات دلالية، وإغناء الدلالة، وتوجيه دلالات النص، وتحقيق تماسكه الدلالي تُظهر هذه الفنون دورها في الانتقال من الإجمال إلى التفصيل، لتمكين المعنى في نفس المتلقي، وتحقيق تأثير دائم على الفكر والفلسفة. ويعود دور الفنون البديعية إلى بناء النص وتوجيه دلالاته وإثراء أبعاده الجمالية والتأثيرية. يخلص هذا البحث إلى أن الفنون البديعية ليست مجرد أدوات التحسين اللفظي، بل هي أدوات فاعلة في بناء النص وتوجيه دلالاته، مما يُبرز القيمة الدلالية العميقة لعلم البديع في التراث البلاغي العربي.

–**الكَلِمَاتُ المِفتَاحيّة**: المظاهرُ البديعية، المنحى الدلاليّ، المظهرُ السِّياقي، زهرُ الربيع في شواهد البديع.

The rhetorical devices with a semantic dimension in the examples of "Spring Blossoms" in the examples of rhetorical devices: "The contextual aspect as a model"

Efaa Hamid Jumaa
Prof. Dr. Ramidh Matar Hamad
University of Anbar / College of Arts / Department of Arabic Language

Abstract-

This present study aims to investigate the role of rhetorical embellishments in forming the semantic structure of literary texts and accomplishing their contextual coherence. This is attained via the analysis and application of these devices to certain poetic and prose texts. Hence, the application includes the poetry of Ibn Qarqamas, as well as examples drawn from the Qur'an and the Prophetic Hadith. The study is based in both its linguistic and terminological foundations on seven key rhetorical devices, namely: antithesis (*ṭibaaq*), quotation (*iqtibaas*), incorporation (*taḍmiin*), syntactic structuring (*a'aqd*), combination (*jama'a*), differentiation (*tafriiq*), division (*taqsiim*), as well as smooth transition (*ḥusn al-takhalluṣ*) and effective closure (*ḥusn al-khitaam*). Through close textual analysis, the research demonstrates that these devices serve to create semantic oppositions, enrich meaning, guide textual interpretation, and improve semantic cohesion. Furthermore, these rhetorical features demonstrate the transition from generalization to specification, thereby reinforcing meaning in the recipient's mind, and producing a lasting intellectual and philosophical effect. Their role extends beyond mere embellishment to include the construction of textual meaning, the direction of its elucidations, and the enrichment of its esthetic and

persuasive dimensions. The study concludes that rhetorical embellishments are not simply tools of stylistic enrichment; rather, they are active tools in constructing and understanding texts. Accordingly, this highlights the profound semantic implication of *ʿilm al-badīʿ* in the Arabic rhetorical tradition.

Keywords: rhetorical devices, semantic approach, contextual aspect, spring blossoms in examples of rhetoric.

المـقــدمــة

يُشكّل الدرس البلاغي ميدانًا خصبًا لاستكشاف مكامن الجمال والإبداع في النصوص الأدبية، لذا وقع الاختيار على شواهد كتاب (زهر الربيع في شواهد البديع) لابن قرقماس، ليكون منطلقًا لدراستنا، وسبيلًا لبيان فاعلية الفنون البديعية التي لا تقتصر على التزيين اللفظي، بل تتجاوزه إلى استجلاء الطاقات الدلالية والتعبيرية الكامنة في اللغة.

إذ برز علم البديع بوصفه الأداة الفنية القادرة على توسيع المعنى وتماسك النص. فضلًا عن منح النص أبعادًا جمالية وتأثيرية تتجاوز المعنى الظاهري إلى أفق دلالي رحب.

ينطلق هذا المبحث من فرضية أساسية مفادها أن الفنون البديعية ليست مجرد حلية شكلية، بل هي آليات فاعلة في بناء النص وتوجيه دلالاته. يُعتمد المظهر السياقي من جملة من الفنون التي تُحكم الربط بين أجزاء النص وتُعمّق حضوره في ذهن المتلقي.

فينتج البحث منهجًا تحليليًا يستقصي آراء كبار البلاغيين والنقاد العرب قديماً. كما يستند البحث إلى شواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي.

تمثلت الدراسة حول سبعة فنون بديعية رئيسية:

1. الطباق
2. الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ومسائل الفقه
3. التضمين
4. العقد
5. الجمع والتفريق والتقسيم
6. حسن التخلص
7. حسن الختام

يسعى البحث إلى الكشف عن فاعلية هذه الفنون في تحقيق التماسك النصي وإثراء الدلالة. يؤكد البحث أن علم البديع هو علم دلالي سياقي قبل أن يكون مجرد زخرفة بديعية.

تشكيلات المظهر السياقي

يتشكل المظهر السياقي من جملة فنون بديعية من شأنها توسيع المعنى وتماسك السياق الذي تنتظم فيه ،فضلًا عن تجسيد المعنى في ضوء ما تحمله من دلالات تتناغم ومفردات السياق ،لتشكل نسقًا متآلفًا مع الفكرة التي يروم المبدع إيصالها إلى المتلقي ،في ضوء هذه المحددات سأعمد إلى بيان فاعلية الفنون البديعية التي تنضوي تحت المستوى السياقي.

أولًا: الطباق

"يقال طابقت بين الشيئين : جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما "[1]

و"أطبق القوم على هذا الأمر أي اجتمعوا وصارت كلمتهم واحدة ".[2]

واستقر مصطلح الطباق على يد ابن المعتز[3] ، وجعل هذا الفن في المرتبة الثالثة من كتابه مكتفيًا بتعريف الخليل[4].

وأسماه قدامة بن جعفر "التكافؤ" وهو "أن يؤتى بمعنيين متكافئين ، والذي أريده بقولي متكافئين في هذا الموضوع : متقاومان، إما من جهة المضادة أو السلب والإيجاب أو غيرها من أقسام التقابل"[5].

فقدامة بيّن الغرض من هذه التسمية مشيرًا بذللك إلى فروعه مثل :السلب والإيجاب، وذلك بقوله:" والذي أريد بقولي...."

وأما عبد العزيز الجرجاني(ت366هـ) فقال: "وأما المطابقة فلها شعب خفية، وفيها مكامن تغمض ، ربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب ، والذهن اللطيف "[6].

وذكر أبو هلال العسكري أن المطابقة :" هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل الجمع بين البياض والسواد ، والليل والنهار"[7].

وذكر ابن رشيق أن الأصمعي قال عن المطابقة : " أصلها وضع الرّجل في موضع اليد في مشي ذوات الأربع ".[8]

وعرفها السكاكي (ت626هـ): "هي أن تجمع بين متضادين"

وقال ابن الأثير :" فإنهم سموا هذا الضرب من الكلام مُطابقًا لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه ، هذا الظاهر لنا من هذا القول ، إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن".[9]

فهو يذهب بقوله هذا إلى عدم وجود تطابق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للمطابقة.

ورد عليه المصري قوله ، فقال : "لأن القوم رأوا أن البعير قد جمع بين الرّجل واليد في موطئ واحد ، والرّجل واليد ضدان، أو في معنى الضدين، فرأوا أنَّ الكلام الذي قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقًا لأن المتكلم به قد طابق فيه بين الضدين "[10] .

---

[1] العين 109/5.
[2] المصدر نفسه ص108.
[3] ينظر: البديع ص36.
[4] ينظر: المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) "دراسة بلاغية" ، حيدر أحمد الزبيدي ، رسالة ماجستير ، ص167، جامعة ديالى 2007.
[5] نقد الشعر لقدامة ابن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ص143، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1978.
[6] الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، محمد البجاوي ، ص44،مكتبة لسان العرب.
[7] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ،لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ص316، ط2، دار الفكر العربي.
[8] العمدة6/2
[9] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، تقديم وتعليق : د. أحمد الحوفي ،د. بدوي طبانة ،ص144، ج3 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
[10] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق الدكتور حنفي محمد شرف ، ص111، ج2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث.

والقرطاجني(ت684هـ): يرى أن "المطابقة بأن يوضع أحد المعنيين المتضادين أو المتخالفين من الآخر وضعًا متلائمًا"[11].

وأشار المدني(ت1120هـ) إلى أن المطابقة هي :" الجمع بين معنيين متضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة "[12]

وابن قرقماس(ت882هـ) ذكر أن المطابقة: " هي الجمع بين الشيء وضده؛ كالليل والنهار،... فهذه تسمية الجمهور "[13]

واختلف العلماء في تسمية الطباق ، فمنهم من أسماه "بالتكافؤ" كقدامة ، ومن أطلق عليه "التطبيق " كالجرجاني[14] ،وأسماه السيوطي بـ"المقاسمة" [15] .

ولكن تسمية "الطباق" كانت هي الأكثر شيوعًا بين أوساط البلاغيين .

وذكر ابن قرقماس أن للطباق أنواعًا ، وسأعمد إلى دراسة قسم منها ، وهي: طباق الإيجاب ، وطباق السلب، والطباق الخفي .

القسم الأول: مطابقة غير مقابلة في الإيجاب

قال ابن قرقماس : "هي أن تذكر الشيء ومعه ضده ، ثم الشيء ومعه ضده إلى أن تستوفي غرضك"[16]

قال فيه (الخفيف)[17]:

وفقيـــهٍ إذا طلبـــتُ اتِّفـاقًـا منــه في الــوصل جـاءني بالخِـلافِ

وأراهُ عنـدي وعنـد ســواي قــاســـيَ القــلبِ لـيِّــنَ الأعطــافِ

فالشاهد هنا في قوله : " وأراه عندي وعند سواي قاسي القلب لين الأعطافِ"، إذ جمع الشاعر بين معنيين متضادين ، فجمع بين قاسي القلب ولين الأعطاف ،فذكر الصفة وضدها فأورد هذا التضاد ليبرز التناقض في صفات الموصوف ، إذ صور طبيعة مزدوجة جمعت بين القساوة واللين، هذا قوى المعنى ومنح النص بعدًا تصويريًا وأثرًا بلاغيًا عزز المعنى ، إذ إن هذا التصوير لهذا الفقيه انماز بصفتين مزدوجتين لا يلتقيان في شخص واحد ،إلا أن الشاعر عمد إلى التصريح بهما ،كي يجسد طبيعة الفقهاء ،فهم في تغاير بحسب ما يحيط بهم من أمور ،ففي بعض يتطلب أن يكون حازمًا في مواطن لا مجال للين فيها ،وطيبًا رقيقًا في مواطن تقتضي ذلك ،وفي ذلك إشارة إلى أن صفة القسوة ليست سجية فيهم .أما اللطافة فهي من شيم العلماء.

القسم الثاني : مطابقة مقابلة في الإيجاب

---

[11] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم بن محمد القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ص48، دار الكتب الشرقية ، تونس1966.

[12] أنوار الربيع في أنواع البديع، للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، ص31، ج2، ط1، مكتبة العرفان كربلاء 1968.

[13] زهر الربيع في شواهد البديع، لناصر الدين محمد بن قرقماس، تحقيق ودراسة الدكتور أسعد مهدي عرار، ص129، ط1، دار الكتب العلمية2007.

[14] أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق الدكتور عبدالجميد هنداوي، ص25، ط1، دار الكتب العلمية 2001.

[15] شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ص105، دار الفكر للطباعة والنشر.

[16] زهر الربيع في شواهد البديع، ص130.

[17] المصدر نفسه، ص130.

"هي أن تذكر اللفظتين أو أكثر ،فإذا فرغت من ذكرهما ، أو ذكرها ،ذكرت أضدادهما ،أو أضدادها، الأول للأول ،والثاني للثاني ، ومهما شَرَطْتَ في هذه الجهة شرطت في هذه الجهة الأخرى".[18]

قال فيه :(البسيط)[19]

لـو أنَّ رَبْـعَ أَحبّــائــي يُـجـيبُ نِدا لـقـالَ لمّــا رآنــي أنـدُبُ الطَّـلَـلا

صُبْحُ اللِّـقا وبيــاضُ الـقُربِ غـالَهُما لَيْـلُ القِـلى وسَـوادُ البُـعدِ فـارتـحلا

قال: "فالمقابلة بين "صبح وليل" ، و"لقا وقلى" ، و"بياض وسواد" ، "وقرب وبعد".

هذا البيت أظهر مثالًا بارزًا لمطابقة مقابلة في الإيجاب ، فتعمد الشاعر إلى أن يجمع بين ألفاظ متقابلة في المعنى وذكرها بالترتيب ، فذكر الصبح وقابله بالليل ، وذكر اللقا وقابله بالقلى ، والبياض بالسواد ، والقرب قابله بالبعد ، فصور الشاعر حالتين متناقضتين ؛ إذ صور حال الوصل وما يحمله من إشراق ونقاء ، في مقابل الفراق وما به م ظلمة ووحشة ، هذا يكشف عن قدرة الشاعر في تصوير التضاد وما يمنحه للنص من قوة جمالية تأثيرية تعزز المعنى وتُرسخه ي ذهن المتلقي .

أيضًا قال فيه: (الطويل)[20]

رَعَــى اللهُ مَـرأً مـارسَ الـدَّهرَ يقتَفي تَـجــارِبَـهُ حتّــى رأى وتَــحَـقَّـقـا

فســـاءَ عــدُوًّا بـالتَّـهــاجُـرِ والـقِـلى وسرَّ صـديـقًـا بـالتـواصـل واللـقا

" فانظر كيف وقعت المقابلة بين "ساء وسرَّ" ، و"العدو والصديق" ، و"الهجر والوصال" ، و"القلى واللقا" مقابلة أربعة لأربعة ، فهذه مطابقة المقابلة ، وقولنا : "في الإيجاب" حيث لم يدخلها نفي ..، ومن مثلها في القرآن الحكيم قوله _تعالى_ : { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ }[21] ، فالمقابلة بين الأعمى والبصير ، والأصم والسميع".[22]

فالشاعر هنا عمد إلى أن يأتي بألفاظ وأضدادها ، مما حقق توازنًا دقيقًا ، فقابل بين "ساء وسرَّ" هذه المقابلة بينت التباين بين الحزن والسرور ، ووضحت التباين الشعوري والأثر النفسي ، وأيضًا قابل بين" العدو والصديق" مما جسد التضاد بين طرفي العلاقات الإنسانية ، وقابل أيضًا بين "التهاجر والقلى بالتواصل واللقا" فالتقابل هنا قائم على القطيعة والجفاء والوصل والمودة ، هذه المقابلات التي عرضها الشاعر حققت توازنًا إيقاعيًا، مما جعل هذه المعاني تندرج ضمن المقابلة في الإيجاب، وأيضًا كشف عن تأثير الأفعال الإنسانية في العلاقات الاجتماعية ، فالقطيعة والجفاء تفضي إلى العداوة ، بينما التواصل واللقاء يفضي إلى المحبة والمودة ، وهذا يدل على أن الشاعر وظف هذه الألفاظ والمعاني ليجعلها أداة تخدم المعنى وتعمقه، هنا تكمن جمالية التقابل في تحقيق التوازن والفهم الدلالي ؛ لأنَّ التقابل يعد أحد السبل التي "تجد فيها المعاني معرضًا للدقة والجمال ، والتي تعطي للنص لذةً ومتعةً ، فهو أسلوب بلاغي بديعي يكثر حضوره في الشعر ، ويستخدم كأداة فنية لبيان المعاني الحقيقية والأغراض البلاغية"[23].

القسم الثالث: مطابقة غير مقابلة في النفي

---

[18] المصدر نفسه ، ص130.
[19] زهر الربيع في شواهد البديع ،ص131.
[20] المصدر نفسه ،ص131.
[21] سورة هود، آية 24.
[22] زهر الربيع في شواهد البديع، ص131.
[23] الثنائيات الضدية من شعر ابن فركون الأندلسي، د.حسين يوسفي، أحمد فليح حسن الخضري ، بحث منشور في مجلة آداب الكوفة ،ص202، مج2، عدد52، 2022.

قال فيه (مجزوء المتدارك)[24]

جَـهِـلَتْ سلمـى ومـا جَـهِلَتْ سوءَ حـالي فـي مَـحَبَّـتِـها
عَـلِـمَـتْ قَتْلـي ومـا عَلِمَتْ أَنَـهُ مِـن نُـبْـلِ مُـقْـلَـتِـهـا

"فالمطابقة بين وجوب الجهل ونفيه، ووجوب العلم ونفيه"[25].

إذ جمع الشاعر هنا بين الفعل وإثباته ثم نفيه ، فذكر " جهلت" فقابلها بـ"ما جهلت" و"علمت " قابلها بـ"ما علمت" ، فجمع بين المعنى وضده ، فالمحبوبة تدرك مدى تأثير جمالها في الشاعر ولكنها تجهل ما يعانيه بسبب حبها ، فأورد الشاعر هنا المطابقة ليقوي المعنى ويبين المفارقة الشعورية، مما منح البيت عمقًا دلاليًا وتعبيريًا.

القسم الرابع: مطابقة مقابلة في النفي

قال فيه :(البسيط)[26]

لمّـا شَـكّـوْتُ إلـى ليلـى وقَـدْ هَـجَـرَتْ وّجْـدي إلـيـها وّسُـهْـدي فـي دُجـى الظُّلَمِ
قـالَتْ أزورُكَ فـافـرَحْ بـالوصـالِ وَنَـمْ فـلَـمْ تَـزُرْنـي وَلَـمْ أفْـرَحْ وَلَـمْ أنَـمْ

علق قائلًا: "الشاهد في "أزورك فلم تزر" ، و"افرح ولم أفرح" ، و"ونم ولم أنم" مقابلة ثلاثة لثلاثة"[27].

ذكر الشاعر هنا ألفاظًا بصيغة الإثبات ثم قابلها بألفاظ نفيها ، فجاء بثلاث ألفاظ وقابلها بثلاث ألفاظ نفيها ، فجاء بـ"لم تزرني ولم أفرح ولم أنم " هذا ما عزز المعنى وأبرز شعور الشاعر بالحزن وخيبة الأمل نتيجة الهجر، تتجلى جمالية التضاد بالمقابلة في بيان خيبة أمل المحب ،إذ شكل إخلاف الوعد هاجسًا مزعجًا انتقل بالمحب من الأمل إلى اليأس. استطاع الشاعر تجسيد الحالة الشعورية للمحب عن طريق خطابين متغايرين ،الأول : يمثل عامل سرور وبهجة ،تمثل بالوعد بالزيارة وهو عامل نفسي ، والنوم الذي يمثل راحة للجسد والخلو من الهم وترقب المحبوبة .والآخر يمثل عامل حزن وألم ،الأمر الذي دفع المبدع الى تكرار (لم) ليشير إلى عمق الأسى وتحول سروره إلى حزن .

استطاع ابن قرقماس عن طريق المقابلة التساوق من حيث المعنى والمبنى؛ لأنَّ التقابل إذ وقع بين "الألفاظ زادها لذةً وإثارةً، وإذا وقع بين المعاني زادها قوة ووضوحًا، كما يضفي عليها رونقًا وجمالًا سواء كان في الألفاظ أو المعاني"[28].

القسم الخامس: المطابقة الخفية

قال فيه (الخفيف)[29]

غَـدْوَةَ البَيْـنِ يَـومَ زُمَّ المَـطَـايَا بِسُـلَـيْـمى وزيـنَـبٍ ثُـمَّ هـنْـدِ
أغْـــرَقَ الـدَّمـعُ مُـقْـلَةً أدخَلَتْـني نـارَ وَجْـدٍ مِنَ الـجَـوى ذاتَ وَقْـدِ

[24] زهر الربيع في شواهد البديع، ص131.
[25] المصدر نفسه، ص131.
[26] المصدر نفسه ،ص132.
[27] زهر الربيع في شواهد البديع ،ص132.
[28] الثنائيات الضدية في أشعار ابن فركون الأندلسي، ص202.
[29] زهر الربيع في شواهد البديع ،ص133.

"الشاهد "أغرق وأدخل" ، وإنما كان طباقًا خفيًا لأنَّ "أدخل" ليس ضدًا "لأغرق" ، وإنما صار ضدًا بسبب متعلقه ، وهو "النار" ، فإنَّ من دخل النار احترق، والاحتراق ضد الغرق، فلأَجْلِ ذلك صار طباقًا خفيًا"[30].

الشاعر هنا لم يأتِ بالطباق مباشرة ، فالفعل "أدخل" ليس ضدًا للفعل "أغرق" ، في حين أن الشاعر حقق التضاد من خلال السياق ، فاقترن الفعل "أدخل" بلفظة "النار"، فالغرق يكون بالماء والاحتراق بالنار وهو ضد الماء ، وبذلك تحققت المطابقة بصورة غير صريحة ، هذا يكشف عن قدرة الشاعر في توظيفه للمعاني الخفية.

تكمن فاعلية التضاد الخفي في تجسيد الانتقال من الحس إلى التجريد ؛ لان فيض الدمع يمثل أثرًا حسيًا كان له بالغ الأثر في غمر النفس حزنا وألما ،لذلك لم يكتف الشاعر بالإشارة الى الحزن الظاهر المتمثل بالفعل (أغرق) الى التحول الى الذات الحزينة ،فعمد الفعل (أدخل) .

قال فيه أيضًا: (الطويل)[31]

وبــي مـن ظِـباء الرَّقمـتَيْنِ غـزالـةٌ علـى نـحرِها مِـن مُقْلَتَـيَّ عُـقودُ

لـها نـارُ وجْنـاتٍ أسـالَـتْ مـدامِعًا علَيْـها دِمــاءُ العـاشقـينَ شُـهودُ

" الشاهد : "لها وعليها" ، فإنَّ الذي لها يقتضي المُلك تحت اليد ، والذي عليها يقتضي العلوّ؛ كقول بعضهم : "لي مالٌ وعليَّ دينٌ" ، فالمال تحت يده ، والدين فوقه ، ومثالُه في القرآن الكريم قولُه _جل وعلا_ {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ }[32]

فكسبُها تحت يدها ، وما جَنَتْهُ فهو عليها، وهذا من خفي المطابقة "[33].

تجلى الطباق الخفي في قول الشاعر " لها وعليها" ، فلها تعني ما كان تحت اليد وبحوزتها ، أما "عليها" فتعني ما كان يقع تبعة وثقلًا ، هذا التقابل جاء بصورة غير مباشرة ؛ إذ ساهم هذا الأسلوب في تقوية المعنى ، ويقارب هذا الأسلوب ما ورد في القرآن الكريم في سورة البقرة قوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } ، فجاء التقابل بين لفظتي لها وعليها ، فهذه المطابقة تعتمد على التقابل من الجهة المعنوية .

ثانيًا : الاقتباس

الاقتباس في اللغة هو من القَبَس، قال الخليل :"شعلة نار تقبسها وتقتبسها أي تأخذ من معظم النار ، وقبست النار ، واقتبست رجلًا نارًا أو خيرًا ، وقبست العلم واقتبسته ، وأقبست العلم فلانا"[34].

أما اصطلاحًا :

فقد ذكر ابن الأثير الاقتباس تحت مسمى "التضمين" ، وقال هو على نوعين : حسن ومعيب ، فأما الحسن فهو " أن يُضمن الآيات والأخبار النبوية ، وذلك يرد على وجهين : أحدهما كلي والآخر جزئي ، ...وأما المعيب فهو تضمين الإسناد، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنثور ، على أن يكون الأول منهما مسندًا إلى الثاني ، فلا يقوم الأول بنفسه ولا يتم معناه إلا بالثاني"[35].

---

[30] المصدر نفسه، ص133.
[31] زهر الربيع ف شواهد البديع، ص133.
[32] سورة البقرة ، آية 286.
[33] زهر الربيع في شواهد البديع ، ص133_134.
[34] العين86/5.
[35] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تقديم تعليق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، ص200_201، ج3، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

وأسماه ابن أبي الإصبع بـ"حسن التضمين" فقال : "هو أن يُضمّن المتكلم كلامه كلمة من بيت ، أو من آية ، أو معنًى مجردًا من كلام ، أو مثلًا سائرًا أو جملة مفيدة ، أو فقرة من حكمة"[36].

وقال ابن رشيق : " أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها "[37].

وفي شرح الكافية : "أن يُضمن المتكلم كلامه كلمة أو آية من آيات الكتاب العزيز خاصة "[38].

و" هو تضمين الكلام بقول سابق يدرجه القائل في كلامه نثرًا أو شعرًا"[39].

وقيل : هو " تضمين المتكلم كلامه شعرًا كان أو نثرًا شيئًا من القرآن ، أو الحديث ، على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه من القرآن أو الحديث "[40].

"ويطلق الاقتباس على استفادة العلم على سبيل الاستعارة"[41]

وقد علل بعضهم سبب تسمية الاقتباس بهذا الاسم ، فقال : " سمي الإتيان بالقرآن أو الحديث على الوجه المذكور اقتباسًا أخذًا من اقتباس نور المصباح من نور القبس ، وهو الشهاب ، لأن القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية "[42]

وقد عرفه ابن قرقماس قائلًا: "أن يأتي المتكلم في كلامه المنظوم ، أو المنثور بشيء من ألفاظ القرآن أو الحديث مع قطع النظر عن كونه لفظ المقتبس منه "[43].

وقد قسم ابن قرقماس الاقتباس لثلاثة أقسام :

الأول : الاقتباس من القرآن

قال فيه : (السريع)

وأغَـيْـدٍ كـالظَّـبْيِ ألحـاظُــهُ مِـنْ دَلِّــهِ جــاؤوا بِـسِـحْرٍ عظـيمْ

نَــمَّ عـلى جَـنّــةِ وجْـنــاتِــهِ خــالٌ تَــراه فــي سَــواءِ الجـحيـمْ

قال معلقًا: " الاقتباس في : "بسحر عظيم"، و{سَوَاءِ الْجَحِيمِ}"[44].

اعتمد الشاعر على الاقتباس، إذ اقتبس من القرآن الكريم ، مما منح النص تأثيرًا معنويًا ، فالشاعر اقتبس عبارتي "بسحر عظيم" و"سواء الجحيم" وأدخلهما في سياق النص ، هذا يدل على تمكنه من استثمار الألفاظ القرآنية ، والاقتباس هنا لم يأتِ لغرض ديني وإنما ليخدم المعنى الفني ، وهذا التوظيف الذي استخدمه الشاعر يعد فنًا بلاغيًا جماليًا ؛عكس ثقافة الشاعر القرآنية وقدرته على توظيفها توظيفًا فنيًا، فترى الشاعر قد استدعى جزءًا من آية ،مستغلا قيمتها الدلالية والجمالية، بغية نقل المعنى من الحالة المحسوسة المتمثلة

---

[36] تحرير التحبير ،ص140.
[37] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق على حواشيه محمد بن محي الدين عبدالحميد، ص171، ج2، دار الجيل.
[38] شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي، تحقيق الدكتور نسيب نشاوي، ص326، ط2، دار صادر 1992.
[39] ينظر الإتقان 386/1 ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن 340/2.
[40] ينظر الموسوعة الكويتية 17/6، عروس الأفراح 332/2.
[41] ينظر الصحاح، ص911، أساس البلاغة 224/2 .
[42] حاشية الإنبابي على الشرح المختصر للتفتازاني ، الشمس الإنبابي ، ص 476 ، ج4 ، مطبعة السعادة ، مصر 1913.
[43] زهر الربيع في شواهد البديع ، ص116.
[44] زهر الربيع في شواهد البديع ، ص117، سورة الصافات آية 55.

بسحر ألحاظ الحبيبة الى حالة أثبت وأقوى وأرسخ في العقول ،إذ لم يكتف بتصوير الجمال الحسي ،بل وظف الدلالة القرآنية لتكسب الجمال قوة وجلالا.

لم يكن لجوء المبدع إلى القرآن أمرًا عشوائيًا، بل هو مقصود لاستثمار القيمة الدلالية الكامنة في النسق المقتبس، لأنَّ القرآن الكريم " يعدّ مصدرًا مهمًا من المصادر التي يلجأ إليها الشعراء وفي مختلف عصورهم الأدبية ؛ وذلك لما يمتاز به القرآن الكريم من التنسيق وتأليف العبارات البليغة التي يتكأ عليها الشاعر لتحسين وتزيين ألفاظه ومعانيه ، وصوره بألوان بديعية ، هذا من جانب ومن جانب آخر هو تحريك عنصر الإثارة والتشوق عند المتلقي"[45].

وأفاد من اقتباس (سواء الجحيم) ليشكل مقارنة تضادية بين جنة وجنته ونار شوقه ،مستغلا الدفق العاطفي للإيحاء إلى مرارة الشوق وعذابه.

و "يرى جمهور الفقهاء جواز الاقتباس في الجملة إذا كان لمقاصد لا تخرج عن المقاصد الشرعية تحسينًا للكلام ، أما إذا كان كلامًا فاسدًا فلا يجوز الاقتباس فيه من القرآن وذلك ككلام المبتدعة وأهل المجون والفحش"[46].

ثانيًا: الاقتباس من الحديث

قال فيه : (الوافر)[47]

تقــولُ ظِبــــاءُ نَــجْــدٍ إنْ رأيْــنــــا سَــحــــابَ الــدَّمْــعِ مُـقبِلَـةً إليــــنا

صَعَــدنا طَــوْدَ كــاظِمَــةٍ وَقُـلــنا حــوالينـــا الــدّمــوعُ ولا علــينا

فكان الاقتباس هنا من قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "اللهم حوالينا ولا علينا"[48] ، فالشاعر حافظ على الصياغة الأصلية للنص مع إدخال تغيير دلالي ينسجم مع سياق القصيدة .

استدعى الشاعر الدعاء النبوي بدفع ضرر المطر إلى مكان بعيد عن قومه ،ليفيد من دلالته المعنوية بالدعاء لتخفيف وطأة الحزن المقبل .إذ أفاد من التشكيل الاستعاري (سحاب الدمع) ليشير إلى قدوم ما يبعث على الهلاك والدمار ،الأمر الذي اضطره إلى الصعود على جبل كاظمة عله ينجو من طوفان هذا الدمع والخلاص من الحزن، إذ إنَّ نهل ابن قرقماس من الحديث النبوي ، لأجل تقرير المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي ؛ لأنه من المعروف " أنّ النص لا يأتي من فراغ ولا بد من مرجعيات أصلية سابقة تقوم بتشكيل النص اللاحق ، وعليه يتوالد من نصوص أخرى تشكله وتساهم في إنتاجه"[49].

وقال أيضًا : (الطويل)

بـروحِـيَ أفْــدي كَـالغَـزالِ مُــحَـدِّثًــا إلــى حُسْنِـه لَحْـظي لَـعَمْـرُكَ مُـرْسَـلُ

وصَــبْري عَلَيْــه مُـعْضَــلٌ مِـثْلُ جِـفنِهِ ونَــوميَ مــرْفــوعٌ ودمــعي مُـسَلْـسَلُ

---

[45] أثر الاقتباس والتضمين في شعر لسان الدين بن الخطيب ، د.فرج منسي، فاطمة أحمد ، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب ، ص69، ع27، 2018.

[46] الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف في منظومة حرز الأماني ووجه التهاني(الشاطبية)، إيمان بنت محمد بن مشيع الثبيتي ، مجلة الآشرية ، ص6 ، مج 1 ، العدد1 ، 2025 .

[47] زهر الربيع في شواهد البديع، ص117.

[48] أخرجه البخاري في صحيحه ، باب تحويل الرداء في الاستسقاء (967) ، 343/1.

[49] اقتباس الحديث النبوي الشريف في شعر مهيار الديلمي ، د.فالح حمد ، حسام جاري ، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ذي قار، ص429، مج9، ع1، 2019.

الاقتباس هنا في : "مرسل" ، و"مرفوع" ، و"مسلسل" ، فمرسل تعني :الأحاديث التي يرويها المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي ، وأما المرفوع فيعني الذي أضافه الراوي ، والمسلسل هو ما تتابع رواته واحدًا تلو الآخر .

وله في الاقتباس من الحديث قول آخر ، فقال: (الكامل)

كُنْ ما استطعتَ عن النِساءِ بِمَعْزِلٍ إنّ النّساءَ حبائِلُ الشّيطانِ

الشاهد هنا هو الشطر الثاني من البيت "إن النساء حبائل الشيطان" ، فورد في مصنف أبي شيبة من حديث : "والشعر مزامير إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان "[50]

استطاع الشاعر عن طريق هذا الاقتباس الإعلان عن رغبته في توجيه النصح والتحذير من مغبة الوقوع في حبائل النساء وشراك الفتنة والاغواء ؛ لان النفس آمارة بالسوء ،إذ تمكن الشاعر من إبلاغ المتلقي بضرورة الحذر ،مصورًا النساء وكأنهن فخ خفي ينبغي التحرز منهن وضبط النفس.

ثالثًا: الاقتباس من مسائل الفقه

قال فيه: (السريع)[51]

قَدْ لَبِسَ الإحرامَ مَن صادَني بِمُقْلَةٍ أمْضى مِنَ المِحْرَمِ

وكانَ عهدي قبْلَ ذاكَ الرَّشا تَحْريمَ صَيْدِ البَرِّ للمُحْرِمِ

فاقتبس الشاعر مسألة تحريم الصيد على المُحرم وأدخله في سياق شعري غزلي ، هذا يدل على قدرة الشاعر في مزج المسائل الفقهية بالتصوير البلاغي ، فضلًا عن تعميق المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي عن طريق تحويل الخطاب من الحكم الشرعي إلى الغزل ، بغية تشويق المتلقي والتأثير فيه ، إذ استحضر المبدع صورة المحرم الذي لا يجوز له الصيد ، إلا أنه وقع فريسة المحبوبة التي اصطادته بنظرة منها على الرغم من إحرامها .

ثالثًا: التضمين

لغة : ورد في أساس البلاغة "..ومن المجاز :"ضمن الوعاء الشيء وتضمنه ، وضمّنته إياه ، وهو في ضمنه ، يقال : ضُمِّن القبر الميت ، وضُمِّن كتابه وكلامه معنى حسنًا"[52].

وعند الفيروز آبادي (ت817هـ) أطلق عليه لفظة "التغريم" ، فقال : "ضمنته الشيء تضمينًا ، فتضمنه عنّي : غرّمته فالتزمه ، وما جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه ..."[53].

أما اصطلاحًا: فيختلف باختلاف العلوم الثلاثة : النحو ، والعروض ، والبلاغة .

في النحو : ورد في تيسيرات لغوية ، هو : " إشراب فعل معنى فعل آخر ، فيأخذ حكمه في التعدي واللزوم "[54].

---

[50] مصنف ابن أبي شيبة (34552) ، 106/7.
[51] زهر الربيع في شواهد البديع، ص119.
[52] أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ، تقديم د. محمود فهمي حجازي ، ص54 ، ج2، مادة (ضمن) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة .
[53] القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، تحقيق مكتب التحقيق بالمؤسسة ،ص1212 ، ط8 ، مادة (ضمن) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
[54] تيسيرات لغوية ، د.شوقي ضيف ، ص81 ، دار المعارف ، مصر 1990 .

أما في العروض : "يعد من العيوب وهو أن يكون " البيت متوقفًا في معناه على البيت الذي بعده"[55]

كقول النابغة (الوافر)[56] :

وهـم وردوا الجِـفارَ عـلـى تمـيـمٍ وهـم أصحـابُ يـومِ عُكـاظَ إنـي

شَـهِـدتُ لـهم مـواطِـنَ صـادِقـاتٍ أُنبِّـئُـهُـم بِـودِّ الصـدرِ منـي

أما في البلاغة وهو مقصدنا من الدراسة فقال رشيد الدين الوطواط (ت573هـ):

"تكون هذه الصنعة بأن يُدخل الشاعر في شعره، على سبيل التمثّل والعارية، لا على سبيل السرقة ، مصراعًا أو بيتًا أو بيتين من قول شاعر آخر ؛ ويجب أن يكون بيت التضمين مشهورًا ، وأن تكون هناك إشارة صريحة على التضمين بحيث تزول تهمة السرقة من الشاعر لدى سامعيه"[57].

وعرفه ابن قرقماس فقال هو : " أن يُضمِّن الناظم شعره بيتا من شعر غيره ، أو أكثر ، أو أقل ، كنصف بيت ، أو بعض نصف فما دونه إيداعًا ، ولا بُدَّ من التنبيه على أنه ليس من نظمه إلا أن يكون مشهورًا عند أهل هذا الشأن ، فيستغنى عن التنبيه عليه "[58].

قال فيه : (الطويل)[59]

ألا عُجْ بِرَبْعٍ باللوى سُحْبَ أدمُعٍ عَفَتْ رِسْمُهُ بينَ الدَّخولِ فحومَلِ

وقل لي وإني مِنكَ أجدَرُ بالبُكا قفا نبكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومنزِلِ

فضمن الشاعر في قوله من أبيات لامرئ القيس .

المتأمل في سياق البيت الثاني يجد ابن قرقماس قد أفاد من القيمة الدلالية للشطر الشعري لامرئ القيس، بغية توظيفه للإشارة إلى حالة حزنه على تلك الديار التي خلت من أحبابه وأهله، وعفت رسومها . لذلك جرّد ابن قرقماس من نفسه ذاتًا أخرى يحاور فيها امرأ القيس ليستدل على جدارته بالبكاء وأحقيته، فاستطاع الشاعر بمقدرته الأدبية أن يستغل التضمين ، ليظهر قدرته على الاختبار؛ لأن "وتشرب النص القديم وتمثله، وقدرة الشاعر تظهر عندما يستطيع أن يوظف ما يستلهمه من النصوص الأخرى توظيفًا فنيًا ، وذلك أن يجعل النص المستعار جزءًا من لبنات نصه مندمجًا معه ورافدًا له"[60].

قال أيضًا : (الوافر)[61]

بَـدَتْ وَرَنَـتْ ومَـاسـتْ ثـم ضَـاعَـتْ فـأعجَـزَتِ الـذي في الوصـفِ قـالا

بَـدَتْ قَـمَـرًا ومَـاسـتْ خُـوطَ بَـانٍ وفـاحَـتْ عَـنْـبَـرًا وَرَنَـتْ غَـزالا

---

[55] التضمين وشواهده الذاتية عند البلاغيين ، عبدالرحمن هدّي ، الصديق حاج أحمد ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، 105، مج10 ،عدد 4، سنة 2021.

[56] ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق وشرح : كرم البستاني ، ص123_124، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ،1963 .

[57] حدائق السحر في دقائق الشعر ، رشيد الدين الوطواط ، ص174 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1945.

[58] زهر الربيع في شواهد البديع ، ص127.

[59] المصدر نفسه ، ص127، وهو مطلع معلقة امرئ القيس، وهو:
قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخولِ فحوملِ

[60] الاقتباس والتضمين في شعر عرار، موسى ربابعة، مجلة دراسات العلوم لإنسانية، ص230_231، مج19، ع1، 1992.

[61] زهر الربيع في شواهد البديع ، ص128، ينظر ديوان المتنبي 224/3، البيت الثاني للمتنبي من قصيدته مطلعها:
بقائي شاء ليس هُمُ ارتحالا وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا

فضمن هنا بيتًا كاملًا ، وهو للمتنبي.

استطاع ابن قرقماس أن يضمن بيتًا كاملًا من شعر المتنبي، بكل سلاسة من دون تكلف أو تصنع، وهنا تكمن قدرة الشاعر على توظيف نص آخر داخل نسيجه الإبداعي، إذ إنَّ "الصعوبة تكمن في مدى قدرة الشاعر وهو يضمن شعر سواه أن يجعل ذلك البيت المضمن_ أو سواه_ جزءًا من بنية القصيدة ومدى تمكنه _كذلك_ من إيصال الدلالة إلى المتلقي الذي يفترض فيه الشاعر إحاطته بما ضمنه من أبيات سواه"[62]

وقال فيه : (الوافر)[63]

وغـــاداتٍ حَكَـيْـنَ بُـدورَ تـــمٍّ بِـأُفْـقِ الحُـسْـنِ تَـطْـلـعُ فـي البَـوادي

إذا جِـئْـنَ الغَـضا وَخَـطَـرْنَ فيـهِ فَـلَـمْ يَـخْـطُـرنَ إلا فـي فُـؤادي

التضمين هنا جاء بنصف بيت، وهو للمتنبي.

وقال : (البسيط)[64]

وأذْكَـرَتْـني عُيون الـزَّهْـرِ إذْ مُـطِـرتْ خَـوْدٌ تَـدَرّعُ بُـرْدَ الـدَّالِّ والـمَـرحِ

بَـشَّـرْتُـها بِـوصـالِ الحُـبِّ بـعدَ جَـفا فـاسْـتِـبْـشَـرَتْ وَغَـدَتْ تَبْكي مِـنَ الفرحِ

هنا تضمن قطعة من بيت حبيب الطائي.

وللتضمين شرط ؛ وهو: "أن يشير المضمن لصاحب المادة المأخوذ منها إن لم يكن مشهورا ، فإن كان مشهورًا فشهرته تغني عن الإشارة إليه"[65].

رابعًا: العَقْد

ورد في اللغة أن العَقْد ضد الحل أو الفك ، قال الخليل: "الأعقاد والعقود : جماعة عقد البناء وعقده تعقيدا ، أي جعل له عقودا . وعقدت الحبل عقدا ، ونحوه فانعقد"[66]، وأما ابن فارس فقال : " العين والقاف والدال أصل واحدٌ يدل على شدٍ وشِدَّةٍ وُثُوق ، وإليه ترجع فروع الباب كلها . من ذلك عقدُ البناء ، والجمع أعقاد وعقود . قال الخليل : ولم أسمع له فعلا . ولو قيل عقَّد تعقيدا ، أي بنى عقدًا لجاز . وعقدتُ الحبل أعقِدُهُ عقدًا ، وقد انعقد ، وتلك هي العقدة "[67].

أما في الاصطلاح فاقترن هذا المصطلح لدى البلاغيين والنقاد بمصطلح الحل ، فأطلقوا عليه "المعقود والمحلول" ، و"العقد والحل" : فنجد أن العسكري يقول : "المعقود والمحلول هاهنا هو أنك إذا ابتدأت مخاطبة ، ثم لم تنته إلى موضع التخلص مما عقدت عليه كلامك سمي الكلام معقودًا"[68].

---

[62] لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث ، د. رجاء عيد، ص29، منشأة المعارف 1985، وينظر توظيف التراث في شعرنا العربي المعاصر، د.علي عشري، ص211، مجلة فصول ، مج1 ،ع1 .

[63] زهر الربيع في شواهد البديع ، ص128، ينظر ديوان المتنبي57/2، من بيت المتنبي:
وقد صغت الأسنة من هموم فما يخطرنَ إلا في فؤادي

[64] المصدر نفسه ، ص128.

[65] التضمين وشواهده الذاتية عند البلاغيين ، ص106.

[66] العين 196/3.

[67] مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق الدكتور عبدالسلام هارون، ص86، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر.

[68] الصناعتين 441.

والعلوي يذكر أن العرب استعملت العقد والحل في التفاضل "ما عرف بالعقد" ، فنراه يقول : " وهو أن يأخذ لفظًا منثورًا فينظمه"[69].

والدكتور أحمد مطلوب عرفه فقال : "بأن العقد هو نقيض الحل وهو تحويل المنثور إلى منظوم"[70].

وأما ابن قرقماس فقال : هو " أن تعقد من القرآن ، أو الحديث ، أو غيرهما من حكمة ، أو مثل ، فتنبه على أنه ليس من كلامك ، بل هو منقول من موضع آخر، ولذلك اشتُرط فيه التنبيه على الموضع الذي أُخذ منه ، أما أن تقول "كقوله" ، أو نحو ذلك مما يدل على أنه ليس من كلامك ، بل هو منقول من موضع آخر إلا أن يكون مشهورًا عند أهل المعرفة بحيث إذا سمعوه عرفوه ، فلا يخفى عليهم الموضع الذي أُخذ منه ، فيجوز ألا ينبه عليه ، لكنه يلتبس بالاقتباس ، فلا يفرق بينهما إلا التنبه "[71].

وذكر ابن قرقماس أن العقد على أربعة أقسام[72]:

الأول : عقد القرآن.

الثاني: عقد الحديث.

الثالث: عقد الكلام المحلول من الشعر.

الرابع: عقد بعض بيت تنبيهًا على معنى مقصود من البيت، أو قصة تتعلق به .

قال في القسم الأول : (المتقارب)[73]

ألا قُـل لِـمَن قد غَـدا مُبْـخِـسًـا قُـلـوبَ الأنـامِ وأهـواءَهُـمْ

لـقـد قـال ربُّـكَ فـي ذكـرِهِ وَلَا تَبْـخَسُـواْ النَّـاسَ أَشْيَـآءَهُمْ

فكان العقد هنا من القرآن الكريم من قوله تعالى : } وَلَا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ{ والتي ذكرت في أكثر من موضع، فترى فاعلية العقد من القرآن" ولا تبخسوا الناس أشياءهم"، قد ساهم في توسيع المعنى والانتقال به من المجال المادي إلى المعنوي؛ لأنَّ العبارة القرآنية قائمة على الإيجاز كونها تنطوي على معانٍ عدة، منها العدل، والبعد عن الظلم، إذ استطاع الشاعر أن يحولها إلى البخس الذي ينال المشاعر والأحاسيس، عمد الشاعر إلى هذا العقد بغية دعم حجته، كونها مقترنة بنص مقدس.

وأما ما أورده عن القسم الثاني ، فقال فيه (الكامل)[74]

ابسُـط يَـديـكَ بمـا حَـوَيْـتَ تكـرُّمًـا فـي اللـه فَـهوَ الـرّازِقُ الفتـاحُ

فَلقَـد يقـولُ المُصطفـى خيـرُ الوَرى العُـسْرُ شُـؤمٌ والسَّمـاحُ رَبـاحُ

العقد هنا من قول النبي صلى الله عليه وسلم :" السماح رباح ، والعسر شؤم"[75].

---

[69] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة الحسيني العلوي ، ص126 ، ج3 ، ط1 ، المكتبة العنصرية ، بيروت 1423هـ .

[70] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، ص532، ج1 ،الدار العربية للموسوعات ، ط1 ،2006.

[71] زهر الربيع في شواهد البديع ، ص120 .

[72] زهر الربيع في شواهد البديع ، ص120_121.

[73] المصدر نسه، ص121.

[74] المصدر نفسه ، ص121.

[75] أخرجه الشهاب في المسند (23) ، 48/1.

المتأمل في سياق البيت الثاني، يجد قيمة جمالية تجلت في الحجة التي اعتمدها الشاعر، بغية إقناع المتلقي، فاستطاع عن طريق هذه الحجة الشعرية منح السياق الشعري قيمة إبداعية وتوكيدًا للمعنى، فضلًا عن جمال الاستحضار، من أجل ترسيخ خصلة الكرم، كونه سببًا في الربح والبركة.

والقسم الثالث قال : (البسيط)[76]

تَضـاحَكَـتْ فَـرَأَيْـتُ الـزَّهْـرَ مُبْـتَسِمًـا وعـارِضًـا بالبُـكـا كالعـارِضِ الهَـطِـلِ

لا كَـالذي قالَ: يَبْكـي النّـورُ مِـن فَـرَحٍ إذا تَضـاحَكَ بَـرْقُ السُّـحْـبِ فـي الأُصُلِ

وهذا محلول من بيت لأبي تمام ، وهو قوله: (البسيط)[77]

الـرُّوضُ مـا بيـنَ مغْبوقٍ ومُصْـطَبَـحٍ مِـنْ ريـقِ مُكْـتَـفـلاتٍ بـالـثَّـرى ذُلُـحِ

دُهُـمٌ إذا ضَـحِكَـتْ فـي رَوْضـةٍ طَفِقَـتْ عُيـونُ نَـوّارِهـا تَـبْـكـي مِـنَ الـفَـرَحِ

تتجلى عملية الحل في تفكيك بيت أبي تمام؛ لأنَّ عملية الحل تتطلب العناية بالفكرة السابقة ومحاولة إلباسها بما يتلاءم والمعنى المقصود، وقد تمكن ابن قرقماس تجسيد الحل عن طريق توكيد المراد في تصوير الروض بين ضاحك وباكٍ.

وقال في القسم الرابع : (الرجز)

لمّـا سَـرَيْـنـا فـي ديـاجـي شَـعْـرِهـا ولاحَ وجْـــهٌ كَـالهِلالِ مُـسْـفِـرا

قـالَ لـنـا نـــورُ الضِّـــيا مِـنْ وَجْهِهـا عِنْـدَ الصَّـبـاحِ يُحمدُ القَـومُ السُّرى

هذا من الأمثلة المأثورة ، وهو مثل يضرب للحث على توطين النفس ومزاولة الأمر بالصبر.

تكمن القيمة الإبداعية لهذا السياق الشعري في توظيف المثل؛ "عند الصباح يحمد القوم السرى"، إذ استطاع استثمار قيمته الدلالية، ليبين للمتلقي قيمة بلوغ الشيء والحصول على المبتغى بعد الجهد والمشقة؛ لأنَّ الشيء إذا نيل بعد الجهد والمشقة كان نيله اجمل وأحلى.

خامسًا: الجمع والتفريق والتقسيم

"هو أن تجمع ثم تفرق ثم تقسّم على حدّ ما تقدم في تفسير كل واحد منها"[78].

كقوله تعالى :{يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (107) ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)}[79]

فجمع النَفْس لأنها عامة متعددة ، ثم فرق بين الشقي والسعيد ، وقسم حال كل منهما.

وقال فيه ابن قرقماس : (الوافر)[80]

لِذاتـي جـامِـعٌ تَـفْـريـقَ شَـمْـلـي بِـتَقْـسيـمِ الهَـوى مِـنْ هَـجْـرِ حُـبّـي

---

[76] زهر الربيع في شواهد البديع، ص121.
[77] زهر الربيع في شواهد البديع ،ص121، ديوان أبي تمام ،ص416.
[78] المصدر نفسه ، ص181، ينظر: التلخيص 366، الإيضاح371، عروس الأفراح 254.
[79] سورة هود 105_108.
[80] زهر الربيع في شواهد البديع، ص181.

سُـهـادًا أوْ عَـذابًـا أوْ هُمـومًـا لِـعَـيْنـي أوْ لِـروحـي أوْ لِـقَلْـبي

عقل قائلًا:

"جمع ما يحصل على المحب من الشقاء في الهجر، ثم فرق بأنَّ الحاصل منه سهادٌ ، أو عذابٌ ، أو همومٌ ، ثم قسم السهاد للعين والعذاب للروح، والهموم للقلب"[81].

إذ تتجلى فاعلية الجمع والتفريق والتقسيم في هذين البيتين، فجمع الشاعر ما يترتب على النفس من الهجر ثم فرق بين السهد والعذاب والهموم ، ثم قسم كل واحدة منهما على موضعها، فالسهاد للعين والعذاب للروح والهموم للقلب ، هذا الأسلوب برز دقة الشاعر في اختياره المعاني وحسن ترتيبها، مما عكس عمق التجربة الشعورية، إذ ساهم التفصيل بعد الإجمال بإبراز المعنى وتوسيعه، فهو "صورة مطابقة لأحد كنوز الإطناب، وهو الإيضاح بعد الإيهام، إذ "يؤتى بالإطناب بطريق الإيضاح بعد الإيهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال تشوقت نفس السامع معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح"[82] .

سادسًا: حسن التخلص

وسماه ابن المعتز بحسن الخروج فقال: "ويسميه البعض "الاستطراد" والبعض الآخر "حسن التخلص" ، وقد عرفه القزويني بالقول: "هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به ، لم بقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني"[83].

وقال ابن رشيق: "ومن الناس من يسمي الخروج تخلصًا وتوسلا، .... وأولى الشعر بأن يسمى تخلصًا ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره ،ثم رجع إلى ما كان فيه"[84].

الواضح أنّ ابن رشيق يرى أن تسميته بالتخلص أولى؛ لأن الشاعر تنقل بأسلوب شيق إلى الغرض الرئيس.

وفي المثل السائر قال ابن الأثير: " هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ،فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببًت إليه ، فيكون بعضه آخذ برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلامًا آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغًا"[85].

واستطاع ابن أبي الإصبع الإفادة من آراء السابقين فسماه: "براعة التخلص" فقال : "وهو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول بيت من المدح ، وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين ، وقد يقع في بيت واحد"[86].

وذكر الحلبي: "هو أن يكون التشبيب أو النسيب ممتزجا بما بعده من مزح وغيره غير منفصل عنه"[87].

---

[81] زهر الربيع في شواهد البديع، ص181.
[82] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، 288/1، مطبعة المجمع العلمي العراقي1983.
[83] البديع ،ص75.
[84] العمدة1/236_237.
[85] المثل السائر 121/3.
[86] تحرير التحبير433.
[87] حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، أبو الثناء شهاب الدين محمود الحلبي ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف، ص254، دار الرشيد للنشر وزارة الثقافة والإعلام1980.

وقد كشف أبو هلال العسكري عن الأساليب التي كانت يتبعها الشعراء في تخلصهم قائلًا: "فالعرب كانت في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها ، والوجد بفراق ساكنيها ، ثم إذا أردت الخروج إلى معنى آخر قالت: "فدع ذا وسل الهم عنك بكذا"[88].

وفي ضوء المفاهيم السابقة تمكن المدني في أنوار الربيع جمع هذه الآراء المتناثرة في إطار موحد، قائلًا : "هو عبارة عن أن ينتقل المتكلم مما ابتدأ به الكلام من غزل ، أو نسيب ، أو فخر، أو وصف، أو غير ذلك إلى المقصود؛ على وجه سهل برابطة ملائمة؛ وجهة جامعة مقبولة يختلس به المقصود اختلاسًا رشيقًا، بحيث لا يتفطن السامع للانتقال من المعنى الأول إلا وقد رسخت ألفاظ المعنى الثاني في السمع، وقرَّ معناه في القلب لشدة الالتئام بينهما "[89].

أما ابن قرقماس فقال عنه : "هو أن يخلُص الناظم أو الناثر من معنى إلى معنى آخر مخلصًا سهلًا لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الالتئام بينهما ..."[90].

وذكر ابن قرقماس أن حسن التخلص يكون على قسمين: قسمٌ حسن وقسمٌ قبيح.

وأشار أن القبيح لا يعد من فنون البديع، وأما الحسن فهو من أبواب البديع، وذكر أن حسانته أكثر وأن العرب كان تؤثر عدم التكلف فلا يرتكبون من فنون البديع إلا ما خلا من التعسف[91].

وأشار المدني إلى قسمي حسن التخلص فقال: "فإذا كان حسنًا متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع ، وأعان على إصغاء ما بعده ، وإلا فبالعكس"[92].

ومما قاله ابن قرقماس في هذا الأسلوب : (الكامل)[93]

أهْــوى غــزالًا بِـالغُوَيْـرِ إذا رَمَـقْ لــم يَبْــقَ للآســادِ يــومًــا مِــنْ رَمــقْ

إلى أن قال:

عَفُّ الإزارِ بَـرِئْــتُ فيــه مـن الخَـنا وقَـنِـعْـتُ مِـنْ ذاكَ المُـقَـنَّـعِ بِـالـرَّمــقْ

فَـلَـقيـتُ بِـالإخلاصِ مِـنْـه مُـخَـلِّصًـا بِـمَـنِ اصْـطَـفـاهُ مُـرْسـلًا رَبُّ الفَـلَـقْ

فتجلى حسن التخلص من خلال الانتقال التدريجي السلس بين الأبيات ، فجاء هذا الانتقال مترابطًا متماسكًا ومنسجمًا بين المعاني، مما برز مهارة الشاعر في توظيف الأسلوب البلاغي .

إذ تكمن فاعلية حسن التخلص في حل مشكلة "تعدد الموضوع في القصيدة الواحدة ، جاعلًا منها وحدة مترابطة الأجزاء لا يشعر المتلقي بهذا التعدد إلا بعد إعادة النظر وإطالة الفكر"[94].

وقال في قصيدة أخرى لمدح النبي(صلى الله عليه وسلم)، قال فيها: (البسيط)[95]

---

[88] كتاب الصناعتين،ص474.
[89] أنوار الربيع240/3.
[90] زهر الربيع في شواهد البديع، ص107.
[91] ينظر زهر الربيع في شواهد البديع، ص107_108.
[92] أنوار الربيع 240/3.
[93] زهر الربيع في شواهد البديع، ص108_109.
[94] حسن التخلص في القصيدة العربية "دراسة في أمثلة من شعر المتنبي"، م.م.بشرى رحيم عبدالله، ص668، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية ، مجلة ديالى، ع87، 2021.
[95] زهر الربيع في شواهد البديع، ص109.

دَعْ عَنْكَ عَذلِي فَإنَّ الغَيَّ قَدْ سَتَرا على رَشادي وإنْ لَمْ تَسْتَمِعْ سَتَرى

إلى أن قال:

غُصنٌ قَرا وَرَقى يَوْمًا يُعَوِّذُني مِنْ سِحْرِ لَحْظٍ بِقَلْبي مِنْهُ قد وَقَرا

فَوَجْهُهُ كَعْبَةٌ أقْضي بِها عُمُرًا وَلَحْظُهُ شِبْهُ سَيْفِ المُرْتَضى عُمَرا

قال: "فانظر كيف استأنس السامع بالمعنى الأول ، فما يشعر إلا وقد وقع في المعنى الثاني ، وتلو ما بعد المَخْلَصِ الالتفات إلى مديح النبي (صلى الله عليه وسلم) :

فَوَجْهُهُ كَعْبَةٌ أقْضي بِها عُمُرًا وَلَحْظُهُ شِبْهُ سَيْفِ المُرْتَضى عُمَرا

ذاكَ الذي عَضْبُهُ كالفجرِ ظَلَّ بِهِ يَجْتَثُّ دابِرَ مَنْ بِالكُفْرِ قد فَجَرا

لِنَصْرِ طَهَ الذي أسْرى الإلهُ بِهِ مَوْلى يَمُنُّ على الأسرى إذا أَسَرا

تجلت هنا براعة الشاعر في حسن التخلص ، فانتقل من الغرض السابق إلى مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) انتقالًا سلسًا متدرجًا خاليًا من الانقطاع ، مما دل على براعة الشاعر ومدى إحكامه لوحدة الموضوع ، بذلك قدَّم لنا نصًا متقنًا ومثالًا واضحًا على براعة الشاعر لانتقاله من غرض لآخر دون أن يشعر السامع أو المتلقي بالانقطاع .

وقال في قصيدة أخرى: (الكامل)[96]

سِر بي لِسِرْبِ سَوانِحِ الجَرْعاءِ وَاذْكُرْ لِمَيّةَ مَيّتَ الأحْياءْ

فَلَطالَ ما صَبَّ الدِّماءَ بِرَبْعِها مِنْ جَفْنِهِ صَبٌّ حَليفُ بُكاءِ

إلى أن قال:

يا حُسنَها مَن رَوْضةٍ قَدْ صابَها بِالوَدْقِ صَوْبُ سَحابَةٍ وَطْفاءِ

قَرَّتْ عُيونٌ بِالمَقَرِّ وَزُيِّنَتْ مِنْ أنْعُمِ الزَّيْنِيِّ بِالأنْواءِ

تجلى حسن التخلص هنا بانتقال الشاعر من الغزل والشكوى إلى الوصف، وصف المحبوبة وتشبيهها بالروضة ، فكان هذا الانتقال من غرض لآخر من دون أن يشعر السامع بهذا الانتقال، مما أضفى على القصيدة انسجامًا فنيًا رائعًا، وانتقالًا سلسًا.

فترى انتقال الشاعر كان مدروسًا ومقصودًا؛ لأنّ "القصيدة تجربة شعرية يبثها الشاعر في حالة شعورية واحدة وتظل تجربة موحدة حتى مع تعدد أغراضها"[97]، الامر الذي يجعل القصيدة الواحدة " تجمع بين محورين أو غرضين متشابهين ومختلفين في وقت واحد"[98].

وقال في قصيدة أخرى (البسيط)[99]

الدَّمعُ والقَلبُ مَطْلوقٌ وَمأسورٌ والصَّبْرُ والوَجْدُ مقْبورٌ ومَنْشورٌ

في حُبِّ كاعِبَةٍ كَالغُصْنِ مائِسَةٍ كأنَّها بَيْنَ سِرْبِ الغيدِ يَعْفورُ

---

[96] زهر الربيع في شواهد البديع، ص110.
[97] حسن التخلص"دراسة نصية في شعر أبي تمام"، د. سناء هادي ، مجلة كلية الآداب ص217، ع79، 2007.
[98] المصدر نفسه، ص217.
[99] زهر الربيع في شواهد البديع،ص110.

إلى أن قال:

لَمَّا رَأَتْ أَدْمُعي جادَتْ سَحائِبُهُ وَدُرُّه لِنظام العِقْدِ مَنثور

قالَتْ فَدَيْتُكَ كَمْ جودٍ فَقُلْتُ لَها مَقالَةً ما بِها مَيْنٌ وَلا زور

إِنَّ البَخِيلَ لَمَخْدُولٌ وَإِنْ كَثُرَتْ أَنْصارُهُ وَحَليف الجود منصور

أبو المَكارِمِ وَالبَحْرُ الخِضَمُ وَمَنْ نَوالُه بِسنينِ المَحْلِ مَشْهُورُ

قال: "فانظر إلى هذا المخلص السهل الذي لا يشعر سامعه بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في المعنى الثاني مع سهولة الألفاظ ، واتساق الكلام ،وانسجام المعنى "[100].

إذ انتقل الشاعر من غرض لآخر انتقالًا منسجمًا دون ملاحظة المتلقي ، فحقق الانتقال انسجامًا بين المعنيين، وبذلك مثل حسن التخلص" بنية نصية تمكن النص من الانفتاح الدلالي، وتقدم إمكانات تفسيرية ، وتصبح الأدوات اللغوية والمعاني المعجمية فيه وسائل لفك مغاليق النص وخطوة أولى للقراءة الجمالية التي تشير إلى المعاني الغائبة"[101].

سابعًا: حسن الختام

أورد المصري في كتابه تحرير التحبير هذا الباب وأسماه " حسن الخاتمة" ، فقال :" يجب على الشاعر و الناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها"[102].

فيؤكد المصري هنا لا بد للشاعر كان أو الكاتب أن يولي الخاتمة عناية خاصة لأنها آخر ما يُسمَع وما يرسخ في الأذهان .

وأسماه الحلبي "براعة القطع" فقال : "هو أم يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبًا حسنًا لتبقى لذته في الأسماع"[103].

والخطيب القزويني قال: "ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذب لفظًا ، وأحسن سبكًا ، وأصح معنى، ....، وثالثها الانتهاء لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس ، فإن كان مختارًا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير، وإن كان غير مختارًا كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسن ما قبله"[104].

لأنّ ختام القصيدة في ضوء مفهوم القزويني تمثل نهاية المطاف، فينبغي أن يكون الختام حسنًا وشاملًا لما يريده المبدع ، كي لا يبقى المتلقي متعطشًا لمعرفة المزيد.

وقال الحلي: " هو عبارة عن أن تختم القصيدة بأجود بيتٍ يحسن السكوت عليه ؛ لأنه آخر ما يبقى في الأسماع ، وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به ، والحذاق والنقاد يحافظون عليه"[105].

---

[100] المصدر نفسه، ص111.
[101] حسن التخلص"دراسة نصية في شعر أبي تمام"، ص217.
[102] تحرير التحبير،ص616.
[103] حسن التوسل،ص255.
[104] التلخيص في علوم البلاغة ، للإمام جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب، ضبط وشرح عبدالرحمن البرقوقي، ص434،429، دار الفكر العربي .
[105] شرح الكافية البديعية ،ص333.

وأسماه السبكي "الانتهاء" ، فقال: "ويطلب تحسينه، لأنه آخر ما يعيه السمع ، ويرتسم في الذهن"[106].

وفي الحلة السيرا قال ابن جابر الأندلسي: "وحسن الانتهاء أن يكون البيت الأخير يفهم منه السامع أنه آخر القصيدة، قبل أن يخبر بذلك"[107].

ومثل ببيت من بديعية ابن جابر[108] ، فقال:

لَكِن وإن طَالَ مَدْحي لا أَفِي أبدًا فَأجْعَلُ العُذرَ والإقرَارَ مُخْتَتَمي

وأما ابن قرقماس فعرفه قائلًا: " يجب على المتكلم شاعرًا كان أو ناثرًا أن يختم كلامه بأحسن خاتمة ، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع ، فيجب أن يجتهد في رشاقتها وحلاوتها وجزالتها"[109].

والمؤلف ابن قرقماس اكتفى بتعريف حسن الختام ولم يورد له شواهد، بل اكتفى ببيان جماليات حسن الختام في نهايات السور القرآنية، فمثلًا قال: " والفرائض في خاتمة النساء"[110]

قال تعالى: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[111]

فختمت السورة بما يناسب ما قبلها من أحكام الفرائض "وفي هذه الآية إيذان بختم الكلام،.. إن صح أنها آخر آية نزلت كما ذلك في بعض السور "[112].

"والتبجيل والتعظيم في خاتمة المائدة"[113]

قال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[114]

فجاء ختام السورة مناسبًا لما قبله من موضوعات السورة " تذييل مؤذن بانتهاء الكلام؛ لأن هذه الجملة جمعت عبودية كل الموجودات لله تعالى، فناسبت ما تقدم من الرد على النصارى، "وتضمنت أنَ جميعها في تصرفه تعالى فناسبت ما تقدم من جزاء الصادقين، وما فيها معنى التفويض لله تعالى في كل ما ينزل، فآذنت بانتهاء نزول القرآن على القول بأن سورة المائدة آخر ما نزل ، وباقتراب وفاة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) لما في الآية من معنى التسليم لله وأنه الفعّال لما يريد"[115].

وقال "ووعيد الظلمة في خاتمة الشعراء"[116]

قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}[117]

فاختتمت السورة بالوعيد للظالمين وهلاكهم ، ففيها " تهديد فظيع للمكذبين وهو مؤذنٌ بانتهاء الكلام ففيه براعة ختام ، وذلك أن المشركين أخبروا بهلاك المعاندين من الأمم السابقة ، وأقيمت عليهم الحجج ، ونفيت

---

[106] عروس الأفراح4 في شرح تلخيص المفتاح ، للشيخ بهاء الدين السبكي، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي ، ص429، ج2، ط1، المكتبة العصرية 2003.
[107] الحلة السيرا في مدح خير الورى ، لابن جابر الأندلسي، تحقيق علي أبو زيد، ص155_156، د2، عالم الكتب 1985.
[108] أنوار الربيع329/6.
[109] زهر الربيع في شواهد البديع، ص244.
[110] المصدر نفسه، ص245.
[111] سورة النساء آية176.
[112] التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ص68، ج6، الدار التونسية للنشر1984.
[113] زهر الربيع في شواهد البديع، ص246.
[114] سورة المائدة آية 120.
[115] التحرير والتنوير119/7.
[116] زهر الربيع في شواهد البديع، ص248.
[117] سورة الشعراء آية 227.

عنهم الشبه ، فلم يبق بعد ذلك إلا أن ينتظروا تحقق الوعيد فيهم ، فالآية "ناطقة بأهيب موعظة وأهول وعيد لمن تدبرها، لما اشتملت عليه من حروف التنفيس المؤذِن بالاقتراب ، ومن اسم الموصول المؤذن بأن سوء المنقلب يترقب الظالمين لأجل ظلمهم ، ومن الإبهام في قوله: "أي منقلب ينقلبون" إذ ترك تبيينه بعقاب معين لتذهل نفوس الموعدين في كل مذهب ممكن من هول المنقلب ، وهو على الإجمال منقلب سوء"[118] .

وقال في النبأ: "وذكر تمني الكافر يوم القيامة بأن يكون ترابًا في خاتمة النبأ"[119].

قال تعالى: {يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}[120]

الخـاتـمـة

بناءً على رحلة التحليل في ميدان المظاهر السياقية لعلم البديع، كشف البحث أن الفنون البديعية ليست مجرد قوالب شكلية جامدة مثل الطباق والاقتباس والتضمين والعقد والجمع والتفريق والتقسيم وحسن التخلص وحسن الختام، بل استراتيجيات خطابية فعّالة ترتبط بتشكيل النص الأدبي وتمنحه حيوية دلالية وتماسكًا بنيويًا.

أبان البحث أن فن الطباق يعمق المعنى من خلال صياغة ثنائيات ضدية تخلق توترًا دلاليًا يثري النص ويبرز مقاصد المبدع.

اتضح لي أن الاقتباس والتضمين والعقد يُعدون جسورًا دلالية بين النص والتراث.

يعد الجمع والتفريق والتقسيم مظاهر بديعية تظهر براعة الشاعر، كونها تنظم الأفكار وترتيبها عن طريق التقسيمات التي تثري السياق الكلامي وتمنحه بهاءً وتلاحمًا.

كما كشف البحث أن فن التخلص يمثل حلقة وصل مهمة داخل السياق الشعري، ويظهر براعة الشاعر في التحول من دون تكلف .

وأبان البحث أن حُسن الختام له القدرة على بناء قصيدة متماسكة ومتكاملة. بهذا يتضافر هذه الفنون جميعاً لتُشكّل ما يمكن تسميته بـ"الهندسة الدلالية" للنص، حيث تُبنى المعاني طبقة فوق طبقة في سياق متآلف ومتناغم.

قائمـة المصـادر والمـراجـع

أولًا: المصـادر والمـراجـع

القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، المكتبة العربية السعودية.
٢. أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت538هـ)، تقديم د.محمود فهمي حجازي، ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٣. أسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت471هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي،ط1، دار الكتب العلمية 2001.
٤. أنوار الربيع في أنواع البديع، للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني(ت1120هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، ج2، ط1، مكتبة العرفان كربلاء 1968.

[118] حسن الختام في سورة الشعراء، ياسر بن حمد المطيري، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، ص63، م32، عدد2، سنة 2024.
[119] زهر الربيع في شواهد البديع، ص255.
[120] سورة النبأ آية 40.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني(ت739هـ) ، دار الكتب العلمية .
٦. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري(ت654هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور حنفي محمد شرف ، ج2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وارة الثقافة والإعلام.
٧. التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور(ت1393هـ)، ج6، الدار التونسية للنشر1984.
٨. التلخيص في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب، ضبط وشرح عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.
٩. تيسيرات لغوية، د.شوقي ضيف، دار المعارف مصر 1990.
١٠. حاشية الإنبابي على الشرح المختصر للتفتازاني، الشمس الإنبابي، ج4، مطبعة السعادة ،مصر1913.
١١. حدائق السحر في دقائق الشعر، رشيد الدين الوطواط(ت573هـ)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1945.
١٢. حسن التوسل إلى صناعة الترسل، أبو الثناء شهاب الدين محمود الحلبي(ت725هـ)، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام 1980.
١٣. الحلة السيرا في مدح خير الورى، لابن جابر الأندلسي(ت780هـ)، تحقيق علي أبو زيد،ط2، عالم الكتب 1985.
١٤. ديوان أبي تمام الطائي(ت231هـ)، وقف على طبعه، محيي الدين الخياط.
١٥. ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط وتصحيح، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدالحفيظ شلبي، ج3، مطبعة مصطفى البياتي، 1936.
١٦. ديوان أبي تمام الطائي(ت231هـ)، وقف على طبعه، محيي الدين الخياط.
١٧. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر للطباعة ودار بيروت للطباعة والنشر.
١٨. زهر الربيع في شواهد البديع، لناصر الدين محمد بن قرقماس(ت882هـ، تحقيق ودراسة الدكتور أسعد مهدي عرار،ط1، دار الكتب العلمية 2007.
١٩. الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، لابن عقيلة المكي(ت1150هـ)، ج2، ط2، جامعة الشارقة 2006.
٢٠. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي(ت750هـ)، تحقيق الدكتور نسيب نشاوي، ط2، دار صادر 1992.
٢١. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي(ت911هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر.
٢٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت398هـ)، تحقيق د. محمد محمد تامر ، دار الحديث 2009.
٢٣. صحيح البخاري، ج1، باب تحويل الرداء في الاستسقاء.
٢٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الحسيني العلوي(749هـ)، ج3، ط1، المكتبة العنصرية 1423.
٢٥. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للشيخ بهاء الدين السبكي(ت773هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ج2،ط1، المكتبة العصرية2003.
٢٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني(ت456هـ)، حققه وفصله وعلق على حواشيه محمد بن محي الدين عبد الحميد، ج2، دار الجيل.
٢٧. القاموس المحيط، الفيروز آبادي(ت817هـ)، تحقيق مكتب التحقيق بالمؤسسة، ط8، مؤسسة الرسالة.
٢٨. كتاب البديع، لأبو العباس عبدالله بن المعتز(ت399هـ) ، شرح وتحقيق عرفان مطرجي، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية2012.
٢٩. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري(ت395هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر العربي.
٣٠. كتاب العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ج5.

٣١. لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، د. رجاء عيد ، منشأة المعارف 1985.
٣٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير(ت637هـ)، تقديم وتعليق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، ج3، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٣٣. مصنف ابن أبي شيبة ج7.
٣٤. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د.أحمد مطلوب ، ج1، ط1، الدار العربية للموسوعات، 2006.
٣٥. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، ج1، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1983.
٣٦. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت395هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر.
٣٧. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد القرطاجني(ت684هـ)، تحقيق محمد الحبيب بن الخواجة، دار الكتب الشرقية ، تونس1966.
٣٨. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج6.
٣٩. نقد الشعر، قدامة بن جعفر(ت337هـ)، تحقيق كمال مصطفى، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة 1978.
٤٠. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت392هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد البجاوي ، مكتبة لسان العرب.

ثانيًا: الدوريات

١. أثر الاقتباس والتضمين في شعر لسان الدين الخطيب، د. فرج منسي، فاطمة أحمد، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، عدد 27، 2018.
٢. اقتباس الحديث النبوي الشريف في شعر مهيار الديلمي، د.فالح حمد، حسام جاري، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ذي قار، مج9، عدد1، 2019.
٣. الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف في منظومة حرز الأماني ووجه التهاني(الشاطبية)، إيمان بنت محمد بن مشيع الثبيتي ، مجلة الآشرية، مج1، عدد1، 2025.
٤. الاقتباس والتضمين في شعر عرار، موسى ربابعة ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، مج19، عدد1، 1992.
٥. التضمين وشواهده الذاتية عند البلاغيين، عبدالرحمن هدي، الصديق حاج أحمد، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج10، عدد4، 2021.
٦. توظيف التراث في شعرنا العربي المعاصر، د. علي عشري، مجلة فصول، مج1، عدد1.
٧. الثنائيات الضدية من شعر ابن فركون الأندلسي، د. حسين يوسفي، أحمد فليح حسن الخضري، بحث منشور في مجلة الآداب الكوفة ، مج2، عدد52، 2022.
٨. حسن التخلص "دراسة نصية في شعر أبي تمام" ، د. سناء هادي، مجلة كلية الآداب، ع79، 2007.
٩. حسن التخلص في القصيدة العربية "دراسة في أمثلة من شعر المتنبي" ، م.م. بشرى رحيم عبدالله، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، عدد87، 2021.
١٠. حسن الختام في سورة الشعراء، ياسر بن أحمد المطيري ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، مج32، عدد2، 2024.

ثالثًا: الرسائل الجامعية

1.المظاهر البديعية في خطب الإمام علي(عليه السلام) "دراسة بلاغية"، رسالة ماجستير ، حيدر أحمد الزبيدي ، إشراف د. فاضل عبود التميمي، حيدر أحمد الزبيدي، جامعة ديالى 2007.